الحرارة الحيوانية

من المعلوم ان كل حيوانٍ يشتمل على حرارةٍ غريزية مهما كانت البيئة التي يعيش فيها الا ان مقدار هذه الحرارة يتفاوت بين نوعٍ وآخر فأرفع الحيوان درجة حرارةٍ هو جنس الطائر وعلى الخصوص الطائر المعروف بالدُوريّ او البيوتيّ فان حرارتهُ تبلغ الى ٤٤° ولا تحطّ عن ٣٨° . ويلي الطير في ذلك ذوات الأَثدِي فان حرارتها تكون ما بين ٣٦° و ٤٠° ومعدّل حرارة الانسان منها ٣٧° . ولكن اذا نزلنا في مراتب الحيوان اتهينا الى انواعٍ سافلة الحرارة في الغاية وهي التي يُطلَق عليها ذوات الدم البارد والمراد بها الزحّافات والاسماك سميت بذلك في مقابلة ذوات الدم الحارّ وهي الطير وذوات الأَثدِي . فان الزحّافات منها كالأفاعي والوَزَغ واشباهها تهبط حرارتها مع هبوط حرارة البيئة المحيطة بها ولا تكاد ترتفع عنها زيادةً على بضع درجات واذا اشتدّت حرارة البيئة حولها ارتفعت حرارتها شيئاً قليلاً ثم تقف فتكون اسفل من حرارة البيئة . الا ان ذوات الغلاف الصَدَفي منها تكون حرارتها ارفع قليلاً من حرارة الزحّافات العارية لان هذه يتبدد من حرارتها اكثر مما يتبدد من حرارة تلك . واما الاسماك فحرارتها تكون أعلى من حرارة الماء الذي تعيش فيهِ بمقدار نصف درجة أو فوق ذلك قليلاً الى ما يقرب من درجتين . ويلحق بذوات الدم البارد الحيوانات التي لا فَقار لها فان حرارة بعض الهُلاميات لا تزيد احياناً عن درجة و ٢٥ ، على حرارة البيئة التي هي فيها

ثم انهُ قد ثبت ان الحرارة الحيوانية تتفاوت تبعاً لاجزاء الجسم فهي تضعف كلما بَعُد العضو عن مركز الدورة . وهي اشدّ ما تكون في مغابن الجسم كالإبط والرُفغ وهو ما قابل الإبط من اصول الفخذين وفي التجاويف المتصلة بداخل الجسم كباطن الفم مثلاً . وتكون ارفع من ذلك ايضاً في الانسجة الغُدّية كالدماغ والكبد والرئة . وأحرّ اجزاء البنية الدم ومعدَّل حرارتهِ ٣٧° و ٧٥، الا ان الدم الوريدي تحطّ حرارتهُ قليلاً عن الدم الشرياني اي نحو درجةٍ واحدة

وهناك امرٌ آخر وهو ان حرارة الشخص الواحد تختلف بين وقتٍ وآخر تبعاً لاحوالٍ خاصة فقد وُجد بالمراقبة انها تحطّ كل مساء نحو ثلاثة ارباع الدرجة لسبب بُطء الحركة التنفسية وهذا ما سماهُ بعضهم بالتذبذب اليومي. ومثل ذلك ما يحدث في حال النوم فان الحرارة تحطّ نحو ثلثي الدرجة عما تكون عليهِ حال اليقظة

اما تأثير السنّ في حرارة الجسم فما لا يكاد يُشعَر بهِ وانما يكون الطفل اسرع برداً من البالغ ويحتاج الى كسوةٍ احرّ لقلّة جرمهِ وصغر جسمهِ وهو كالبالغ لا يقلّ معدَّل حرارتهِ عن ٣٧° . واما الشيوخ فدرجة الحرارة فيهم انقص قليلاً من الشبان . وللطعام تأثيرٌ في مقدار الحرارة فان الذي يأكل كثيراً تكون حرارتهُ ارفع من الذي يأكل قليلاً . وكذلك السِمَن يكون من اسباب توليد الحرارة في الباطن وهو فضلاً عن ذلك يكون سبباً في حفظها لان النسيج الشحميّ يحول دون انبعاث الحرارة من الجسم . ومن اعظم الفواعل في زيادة الحرارة الرياضة البدنية لان كل

عضلةٍ تنقبض تحمَى بالضرورة

ومعلومٌ ان حرارة الجسم تنشأ عن اشتعال الموادّ الغذآئية بالاكسيجين الداخل اليهِ من الهوآء عن طريق الآلات التنفسية . وهذا الاشتعال يتمّ في جميع اجزآء الجسم لان الدم المنتشر فيهِ بواسطة الشرايين الشعرية يمرّ حاملاً الاكسيجين فيتحد بكربون الانسجة وينشأ عن اتحادهما الحامض الكربونيك فيحملهُ الدم الى القلب ومن هناك ينتقل الى الرئتين فيلقي الحامض الكربونيك ليخرج بالنفس ويمتص مكانهُ الاكسيجين الداخل من الهوآء ثم يعود الى القلب فيتوزع في الشرايين وهلمّ جرًّا في تفصيلٍ ليس هنا محلهُ

ثم ان البرد والحرّ يؤثران على حرارة الجسم وعلى جميع الوظائف العضوية تأثيراً كبيراً فكلما انحطّت حرارة الجوّ وازدادت كثافة الهوآء يدخل الرئة مقدارٌ اعظم من الاكسيجين في كل تنفس وتلفظ الرئة كذلك مقداراً اعظم من الحامض الكربونيك وحينئذٍ فبالضرورة ينشأ هناك مقدارٌ اعظم من الحرارة يقاوم مفعول البرد لكن لا بد والحالة هذه من توفر الحظ الكافي من الغذآء لإحداث هذه الزيادة في الاشتعال . وقد روى الربّان پرّي ان ذوات الأثدي في الاقاليم القطبية تحتمل البرد الى درجة تجمّد الزئبق اي الى ٤٠° من المقياس المئوي تحت الصفر فما دون ذلك الى ٤٦° . واما الانسان فبما يستخدمهُ من الذرائع الواقية يمكن ان يحتمل البرد الى ٥٦° تحت الصفر . على ان من الحيوان ما اذا اشتدّ عليهِ البرد يفقد حرارتهُ الغريزية فيعرض لهُ خَدَرٌ شديد يعقبهُ سُباتٌ طويل وتتغير

فيهِ جميع مظاهر الحياة العضوية بيد أن التنفس يبقى مستمرًّا لكن ببطء شديد حتى لا يكاد يُشعَر بهِ فان الجُرَذ الجبليّ (المرموت) لا يتنفس في مدة الشتآء الا ٧ او ٨ مرات في الدقيقة والقنفذ لا يتنفس اكثر من ٤ او ٥ مرات لكن اذا بلغ الخَدَر مبلغهُ فقد ينقطع التنفس بتةً . وكذلك الدورة الدموية تضعف الى ان تتوقف اصلاً فقد شوهد ان الخلد الذي يضرب قلبهُ عادةً ٢٠٠ ضربة في الدقيقة لا يضرب في تلك الحال الا ٥٠ او ٥٥ ضربة. وكذلك الحسّ والانقباض العضَلي يضعفان تدريجاً واذا اشتد الخدر ينقطعان ايضاً . اما اعضآء التغذية فتبقى وظائفها لكنها تضعف كثيراً وهذه الحيوانات تغتذي في مدة هذا السبات الطويل بما اكتسبتهُ من المادّة الشحمية في مدة الخريف

وهذا كلهُ في ذوات الدم الحارّ والظاهر ان سبب هذا السبات فيها هو ما يطرأ على الجهاز العصبي من الضعف بسبب فقدان الحرارة السطحية كما يعرض للانسان عقيب الطعام اذ يتحول معظم الدم الى الباطن فتخدر حواسّهُ ويغلب عليهِ الميل الى النوم . واما ذوات الدم البارد فقلما يحدث فيها ذلك فان الاسماك لا تزال على حالها في البحار المتجمدة بل وُجِد بالمراقبة ان المآء الذي يحيط بها لا يتجمد . واما الزحّافات ففضلاً عما يعرض لها من السبات الشتوي يعرض لها السبات في مدة الصيف ايضاً الا ان سباتها صيفاً انما يكون في الاقاليم الحارّة فاذا انقضى الصيف عادت الى حالها

وقد تقدم ان الانسان يستطيع من مقاومة البرد ما لا يستطيع غيرهُ من الحيوان وذلك باتخاذ الوسائط التي تزيد في الحرارة الغريزية والحواجز

التي تمنع انبعاثها الى الخارج . لكن من الغريب انهُ يحتمل احياناً من درجات الحرارة ما لا قِبَل بهِ للطبيعة الحيوانية فقد امتحن بعضهم ان يدخل حمّاماً قد أُحمِي الى ٩٨° من المقياس المئوي فلبث فيهِ نحواً من سبع دقائق واقام غيرهُ نحو المدة نفسها في حمّام بلغت حرارتهُ ١٠٩° ورُوي عن فتاةٍ انها لبثت عشر دقائق معرَّضةً لحرارةٍ ذات ١٤٠° وهو اغرب ما ذكر من هذا القبيل . وفي هذه التجارب كان النبض يرتفع الى ١٤٠ و١٦٠ نبضة في الدقيقة وازداد تواتر النفس على مثل هذه النسبة . والظاهر ان السبب في احتمال هذه الحرارة كلها ما ذكرهُ فرَنكلّين وهو ان هذه الزيادة فيها كانت سبباً لتهيُّج العمل السطحي من عامة الجسم بحيث افاضت الغُدَد العرقية عرقاً غزيراً على سطح الجلد ثم تبخر هذا العرق فامتصَّ مقداراً عظيماً من الحرارة واذ ذاك حدث تبريد على جميع السطح الخارجي من الجسم . ومن هنا يُعلَم ان حرارة الحمّام الجافّ ايسر احتمالاً من حرارة الحمّام الرطب لِما أنَّ الهوآء اذا كان مُشبَعاً بالرطوبة يمنع حدوث التبخر . ولهذا السبب عينهِ كانت الاقاليم الرطبة من البلاد الحارّة مثل بعض نواحي المكسيك غير ملائمة للابدان وبخلافها الاقاليم الجافّة كصعيد مصر والصحرآء وبلاد النُوبة فان حرّها غير مؤذٍ . وهذا فضلاً عن ان الاقاليم الرطبة يكثر فيها انتشار الجراثيم المرضية فتكون سبباً لافساد الصحة بما يترتب على وجود هذه الجراثيم من الوبالة المفسدة للهوآء والمسببة لكثير من الامراض

حديقة السوسن

(تابع لما قبل)

— ١٢ —

لقد فات انصار المماثلة التامة بين الجنسين ان النسآء لو صرفنَ الجهد للحصول على حقوقٍ لهنَّ ما برحتْ مسلوبةً وهنَّ عنها مُعرضات بدلاً من اضاعة الوقت بمطالب هي لهنَّ آفات موبقات لأَفلحنَ حالاً وسعدنَ مآلاً وكنَّ في نظر العاقل المتروّي حكيماتٍ حازمات ولساد السلام بين افراد الفريقين وبلغ ناموس العمران حدَّهُ من الارتقآء والكمال. ولكن هيهات فان التطاول الى نيل المجد الكاذب والنهمة في اكتناز الدينار والتهافت على الإِكثار من الخروج والولوج تعرُّضاً للانظار قد صرف الافكار عن تدبُّر حقائق الاشيآء فتجسَّمت للنسآء ومن كان على شاكلتهنَّ بجسمٍ خدَّاع وتشكلت بغير شكلها الطبيعي حتى اصبحنَ راغباتٍ فيما يشقيهنَّ ويذلُّهنَّ مزدرياتٍ بما يرفعهنَّ الى اوج الراحة والمجد والكمال

اما تلك الحقوق فهي في الغرب غيرما في الشرق وفي اميركا خلاف ما في اوربا وفي بعض الأُمم من هذه تتفاوت وتمتاز عنها في البعض الآخر واليك محصَّل الحال

اولاً — ان المرأة في اوربا لم تبرح غير قيّمة على مالها ولا يُباح لها (غالبًا) التصرُّف فيهِ الاَّ باذن زوجها ورأيهِ ما لم يكن من نتاج اتعابها

الخاصة او مما يصل اليها من اهلها احياناً (غير الارث والبائنة المعروفة بالدوتة) وهو ظلمٌ بحتٌ لم يصل اليهِ اكثر الشرقيين مع ما اشتهروا بهِ من التهافت على حَجْر المرأة والتضييق عليها

ثانياً — ان المرأة في اوربا عامةً وفي اميركا جملةً اصبحت على خلاف ما يتراءى لذهن الرائي من سقط المتاع الذي لا يشرى ولا يباع الم ترَ ان الفتاة ولو سمت البدر حسناً والشهاب ذكآء والنسيم رقةً ولطفاً وقدود البان هيَفاً ورشاقةً وكان صدرها خزانة الادب والعلوم ولسانها كنز المنثور والمنظوم ولها من نبالة الاعراق وطيب العنصر ونقآء الحسب ما يعرج بها الى مراتب الملوك والامرآء لا يُقبِل عليها خاطبٌ دون ان تمهرهُ مبلغاً من المال يزيد وينقص بحسب ما لهُ ولها من الوقع والمقام في هيئة الاجتماع او على نسبة ما في صناديق ابيها من الاصفر الرنّان كانها في اعتبارهم مصيبةٌ من المصائب الجسام لا يُقدِم الكُفء على الاقتران بها الا برشوةٍ باهظة هي البائنة او المهر المعكوس — ولم تقف المسألة عند هذا الحدّ بل اصبح العدد العديد من فتيات اميركا وبعض اوربا ينشرنَ الاعلانات عن انفسهنّ في الصحف السيارة[1] — وقد رأينا مثلها في القطر المصري ايضاً — على اساليب شتى يغرينَ بها الرجال على الاقبال للتزوج بهنّ بما يزخرفنَ لهم من مظاهر التشويق بتعداد ما حوينَ من رائع الجمال واحرزنَ من بديع الخلال وكنزنَ من نوادر التحف ونفائس الحلي وبدرات الاموال

(١) قيل انهُ في نيويرك وحدها نشر سنة ١٩٠١ نحو مئة واربعين الف اعلان من هذا القبيل

كأنَّ الزواج صفقة تجارية يراد بها الربح المالي لا شركة حياةٍ تحتاج الى التشاكل والحب [١] اكثر من احتياجها الى الجمال والمال . وكأنَّ المرأة ليست ما ندعوهُ بريحانة القلب ومفرّجة الكرب والمعوان على الحياة في سرّآئها وضرّآئها بل هي على هذا الزعم وبمقتضى اصطلاحهم صندوقٌ من حديد يراد منهُ اغنآء الرجل عن السعي والكسب والارتزاق حيثما يصبح آلة جامدة لا تتحركُ الا للملاهي والشهوات والانزوآء في الحانات وتعود جذوة ذكآئهِ فحمةً خامدة يغشاها رماد الاباطيل والترّهات فلا ينفع البنآء البشري بشيء بل يعيش كالحيوانات الحلَمية [٢] التي تلتمس القوت من اجسام غيرها . فاين التكافؤ والتساوي مع هذا الحال العجيب بل اين ادّعآء المتمدن الغربيّ انهُ رفع مقام الانوثة وخصها بالاكرام والأَثَرة . ايكون هذا الخبر وذاك المَخبَر

انما نحن معاشر السوريين « سكان الداخلية التي لم يتطرق اليها بعد التمدُّن الاوربي الاَّ في بعض الشؤون » لا يفوز فتانا بعروسٍ يخطبها حتى يبذل في سبيلها قسماً من ثروتهِ ويتخذ الف ذريعةٍ ووسيطٍ تجاه ابوَيها ويمهرها ثمت من الدينار والحلي ما يشفُّ عن إجلالنا قدر البنات ومعرفتنا

(١) قد احسَّت فتيات اميركا في الزمن الاخير بأن الحب من اهمّ ضروريات الزواج فألَّف بعضهنَّ لجنة تمنع كل فتاةٍ تنتظم في سلكها من الزواج اذا لم يكن الباعث عليهِ الحب والتآلف بين العروسين (٢) يراد بالحيوانات الحلمية ما يدب على جسم الانسان والحيوان ويلتمس غذآءهُ من دمآئهِ فيعيش ويموت على حساب غيرهِ يرتع في بدنهِ ويمتص دمهُ بلا جهدٍ ولا تعب كالقراد والبقّ والقمل وماشا كلها

اهمية رباط الزواج غير باحثين عن « دوتة » ولا ملتمسين الاثرآء من اموال النسآء لا بل كثيرون منا يأنفون ان يُدخلوا الى اموالهم ما قد تناله نسآؤهم ميراثاً عن آبآئهن فيدَعونهُ لهنَّ غير ممسوس يتصرفنَ فيهِ كيف شئنَ . هذا حالنا نحن الذين نُدعى عند الاوربيين والمتفرنجين من ابنآء الثغور الشرقية نصف متمدنين ونُرمَى منهم بامتهان المرأة واذلالها افتئاتاً ورجماً بالغيب .

ومما زاد في الطنبور نغمة انك ترى اليوم في اميركا واوربا بل في بعض مدائن الشرق سماسرة وسمسارات للبنات يسعون بالتأليف بينهنَّ وبين الفتيان وتمهيد العقبات امام الوالدين وابرام الصفقات على كميات الاموال التي يبذلها الاب المسكين لصهرهِ « العزيز » لكي يحوّل عن منزلهِ تلك النازلة الدهمآء المدعوة « فتاة » الى عشهِ الزوجيّ تنازلاً وكرم اخلاق . وهؤلآء السماسرة يتقاضون الفريقين مبلغاً معيناً من اصل تلك الاموال التي يُرشى بها الزوج باتفاق بينهم يجري سلفاً اي قبل مباشرة « البازار » وعقد الصفقة حتى ان كثيراً من الأُسَر اليوم اصبح ذا ثروةٍ طائلة من هذا المورد العذب ألا وهو « سمسرة البنات » فنعم المورد ونعم الارتزاق

اليس من العار على ابنآء هذا العصر في العالَم الجديد والقديم الذين يدّعون انهم ضارعوا الآلهة علماً وسموَّ مدارك ان يتركوا شؤون الزواج التي عليها يتوقف ارتقآء العمران وبقآء نوع الانسان مشوشة مختلّة لا تتعادل فيها الحقوق بين الجنسين ولا يُسنُّ لها قوانين صحيحة ثابتة اساسها النزاهة وعمادها التعقل وركنها الصواب تذهب شهيدة زيغها وانحرافها

الوف الالوف من العذارى اللواتي يلبثنَ بسبب هذه السنَّة الذميمة — سُنَّة البائنة — قعيدات في بيوتهنَّ لعدم اقتدارهنَّ او لعجز آبائهنَّ عن أدآء الرشوة ليزوّجنَ بناتهنَّ تلك السُّنَّة التي اصبحت في هذا العصر عصر المدنية والنور دآء الزواج الدفين وعلّة شقآء النسآء المبين

ان الصينيين والاشوريين القدمآء هم لعمر الحق اكثر منكم يا معشر الاميركيين والاوربيين عنايةً بهذا الشأن الخطير واوفر منكم دربةً لاعطآء كلٍّ من الفريقين حقهُ منهُ بلا غدر ولا حيفٍ فقد اتخذوا بدهآئهم واصالة رأيهم وسائل فعّالة تمكن كل انثى تجنح الى الزواج من الحصول عليهِ كما تشآء بلا كبير عنآء فلا تلجأ ثمت الى المكث في بيت ابويها عانساً مدى الحياة تكافح اميالها الجنسية مكافحةً تجعل حياتها ينبوعاً للتعس والشقآء فضلاً عما ورآء هذا الاحتباس القسريّ من موجبات الاعتلال الجالبة للآلام والاسقام لكثير من تلكم العانسات والعواتق فان الصرع والسرسام والهستيريا والانيميا (١) وكثيراً من امثال هذه الادوآء الوبيلة من منتجات تلك الحياة اللاطبيعية ميدان الويل والنغص ومنبت الاحزان والبلآء

أجل لقد علمنا من عوائد الصينيين والغاليين القدمآء ان ربَّ البيت

(١) ان هذه العلل المعدودة وكثيراً غيرها مما لم نذكرهُ رغبةً في الايجاز تعتري غالباً البنات اللواتي يعنسنَ ولم يتزوجنَ ولا سيما اذا كنَّ عصبيات المزاج او دمويات ولا ينجو منها الا ذوات المزاج اللمفاوي واكثر الراهبات والمتبتلات باختيارهنَّ هنَّ من هذا المزاج ما لم يكنَّ مكرهاتٍ على الرهبانية لعوارض واسباب موجبة

منهم متى صارت فتاتهُ كاعباً او مُعصِراً اتخذ في كل عام مأدبةً يدعو اليها لفيفاً من الشبان الذين يتناسبون مع فتاتهِ سنّاً وحسباً وطباعاً حتى اذا تألبوا حول مائدة الطعام قدّمت الفتاة قدحاً من الخمر لمن تستحسنهُ من اولئك الشبان اشارةً الى كونها اختارتهُ لها حبيباً وخطيباً فان امتص منهُ جرعةً واعادهُ الى الفتاة عُدَّ ذلك منهُ ايذاناً بالرضى ودليلاً على القبول الصريح فيحضر المدعوون العقد ويدعون للعروسين بالرفآء والبنين وان ردَّ الكاس معتذراً حُسب ردُّهُ علامة رفضٍ . وعندها اما ان تقدّم الكاس لغيرهِ ممن تهوى امتحاناً لرضاهُ واما ان يؤجَّل الامر — اذا لم يكن هنالك من يقع عليهِ اختيارها غير الاول — الى عامٍ قابل فينصرف المأدوبون بسلام ولا يزال الأَبُ يكرّر في كل عامٍ هذه المأدبة في يوم موعود يدعى اليها كلٌّ من يتبادر للذهن انهم اكفآءٌ لفتاتهِ العذرآء حتى يتهيأ لها الحصول على خطيبٍ يرضاها وترضاهُ

اما الاشوريون القدمآء فقد انبأنا التاريخ ان كل مدينةٍ او قريةٍ في بلادهم يخرج اهلها بفتيانهم الراشدين وفتياتهم الناهدات في مهرجانٍ لهم مشهور الى سهلٍ فسيح في ضاحية البلد وهناك بمحضر من الشيوخ وسَدَنة الاوثان وكهنتها يقسمون العذارى فئتين حساناً وغير حسانٍ ثم يفرزون الفتيان الى جانبٍ ويبتدئون باجمل فتاةٍ فيعرضونها للازواج على مهرٍ مسمىً يعينهُ الكهنة فيتبارى الشبان الطالبون متدرّجين الواحد بعد الآخر بالزيادة في المهر كما يُفعَل اليوم في اسواق المزاد المعدَّة لبيع السِلَع حتى تكفَّ الرغبات ويتعذَّر المزيد وعندها تحقُّ الصفقة لآخر طالب فاذا راق

في اعين الحسناء استوفوا منهُ المال واتمّوا العقد ثم اشتغلوا بغيرها على هذا المنوال ولا يزالون كذلك حتى يُعقَد زواج الحسان كافةً . ثم يشرعون في عرض الفئة الثانية واحدة فواحدة مشروطاً ان يُعطى لمن يرضاها كذا وكذا من اصل المال المجموع من مهور الحسان فيأخذ الفتيان طالبو المال يتسابقون في انقاص ما يُعرَض عليهم من المال حتى تستقرّ الحال على المُنقِص الاخير . وهكذا يزوجون متوسّطات الجمال او غير الجميلات بما يجمعونهُ من مهور الجميلات وان زاد لديهم شيءٌ من المال ابقوهُ في خزائن السدَنة الى عام قابل يسدّون به ما لعلهُ ينقص في مهرجانهم الآتي من مهور الحسان عما يعطى لبعول غير الحسان وهكذا يقفل الجميع مساء ذلك اليوم من مهرجانهم هذا الى منازلهم فرحين طربين وقد اتموا عقد كل عذراء بلغت سنّ الزواج في عامهم ذلك

وعلى هذا نجد اولئك الاقوام الناشئين اطفالاً في مهد الانسان التاريخي المدني كانوا منذ آلافٍ من السنين اكثر من متمدني هذا الزمان اقتداراً على إزواج بناتهم حالما يبلغنَ مبلغ النساء على صورةٍ يتوفر فيها حسن الانتخاب مع السهولة والعدل بلا غصبٍ للفتيات ولا اكراهٍ للفتيان. واين هذه القاعدة المثلى وما ينشأ عنها من سعادة الحال وبين اصطلاح عصرنا واهلهِ الذين يتركون عذاراهم هَمَلاً ينادينَ على انفسهنّ في الصُحُف ويرشونَ السماسرة ويتزلفنَ الى الكهنة قصدَ ترويج حالهنّ كانهنّ بضاعة مزجاة فلا ينفق بعضهنّ الا بعد بذل القناطير المقنطرة من الذهب الوضاح . اما الفريق الاكبر فيلبثنَ في اخدارهنّ الى الممات محتبساتٍ

مهملات ساخطات على عالَم الأُلفة والاجتماع الذي لم يجدنَ من ابنآئهِ من يصبو اليهنَّ فيعتقهنَّ من هذا الإِسار وكثيرات من هؤلآء يذهبنَ لعدم التحمل ونقص التربية الى حيث يبعنَ الحيآء والعفاف في معاطف الطُرُق وزوايا المواخير

وانكى من هذا ان الشبان من اجل السبب عينهِ اصبحوا يتباطأُون في الزواج علماً منهم انهُ بمقدار ما تزيد ثروة الواحد منهم او راتبهُ في الخدمة التي يتعاطاها تكون البائنة التي تُعرَض عليهِ اوفر وينال عروساً اجمل فلا تزال الاطماع تؤخرهُ والاماني تشغلهُ من عامٍ الى آخر وهو يلهو عن الحياة الزوجية بما لديهِ من محرَّمات العزوبة حتى يصير كهلاً او شيخاً فعندها اما ان يستغني عن الزواج بتةً كما هو شأن الكثيرين واما ان يختار لنفسهِ مما يُعرَض عليهِ من تكون دون العشرين سنًّا وهو يربو على الخمسين فيقطع معها حياةً قلما تكون مُثمرةً حشوها الغُصَص والويل والشقآء

(ستأْتي البقية) سليم عنحوري

نجاة من خطر الموت

اتفق لنا الحادث الآتي بيانهُ وهو مع كونهِ من الحوادث النادرة الوقوع فانهُ شديد الخطر واذا لم يُتدارك بلطف الحيلة والاعتماد على ما يوحيهِ العلم الصحيح لم يُؤْمَن فيهِ وقوع المحذور والاعانة على نفاذ المقدور ولذلك رأينا ان ننشرهُ على صفحات الضيآء تنبيهاً للمطالعين الى وجه العمل فيما لعلهُ يحدث من مثلهِ وهو هذا

فتاةٌ تبلغ من العمر ما دون الثانية عشرة استيقظت من نومها فوجدت ثعباناً غليظاً ملتفاً حول عنقها فاعتراها من الخوف والرعب ما أفقدها رشادها فكانت لا تنبس ببنت شفة وما رأى اهلها هذا الخطر المحدق بها حتى ارتاعوا لهُ ايما ارتياع واخذت النسآء في الصياح والعويل كعادة اهل القرى عند نزول الكوارث . فبعد ان كان هـذا الافعوان خامداً هادئاً من تلذذهِ بهذه الحرارة اللطيفة وهذا الملمس الناعم انتفض من مرقدهِ ونشر درقتهُ وفتح فاهُ واندلع لسـانهُ المزدوج كاللهب وأخذ يلهث متلفتاً ذات اليمين وذات الشمال حتى صار المنظر مخيفاً والناس حولهُ حيارى. وكان ثوران هذا الضاري مصحوباً بالضغط على عنق الفتاة وكان رأسهُ المتهيج أمام وجهها حتى فقدت حواسهـا وضاق تنفسها وصار الموت اليها اقرب من حبل الوريد . ولما ان ضاقت في وجه اهلها الحيل وازدادت الغوغآء واخذ هذا الحيوان في شدة الهيجان وخيف عليها من نهشهِ التجأ القوم الى معارف الطبيب لعلهم يجدون منفذاً للنجاة . ولمـا كان هذا الحادث يحار فيهِ الطبيب والجراح معاً فلا فائدة من الدوآء ولا معوّل على سكين الجرّاح ولا ارتكان في هذا الموقف الحرج الا على فطنة الطبيب وذكآئهِ وجب ان لا يقف الطبيب حائراً جامداً بل عليهِ ان يستعمل فكرتهُ ومعارفهُ في نجاة هذه الروح الزكية . فحالما علمنا بهذا الخبر استحضرنا فـي الحال محلولاً مركّزاً من الكلورال الايدراتي المحلّى بالسكر وهو من الادوية المنوّمة التي لا طعم لها ولا رائحة منفرّة ثم استحضرنا جانباً من بيض الدجاج النيء وتوجهنا في الحال الى محل الحادث فوجدنا الازدحام شديداً والحيوان في

اعلى درجات الهيجان والفتاة لا حراك بها ووجدنا كثيراً من المشعوذين الذين اثاروا غضب هذا الحيوان باعمالهم الجنونية . فصرفنا هذا الجمع وعرضنا للحيوان بيضتين مفقوءتين فمال اليهما بكليتهِ فافرغناهما لهُ في اناء داخلهُ هذا المحلول المنوّم فأخذ في التهام هذا الغذآء بشرَهٍ عظيم .فعمدنا الى مباعدة الاناء عن فيهِ شيئاً فشيئاً وهو ينحلُّ عن عنق الفتاة تدريجاً ويتبع الاناء حتى انحلَّت عروتهُ المميتة عن عنقها وكلما فرغ الغذآء زدناهُ واحدةً فما اتى دور السادسة حتى اصابهُ النعاس والنوم العميق وكانت هذه آخر حياتهِ . فانبهر الناس من هذا العلاج العقلي وحمدوا الله على نجاة تلك الفتاة من خطر الموت وتحلي الانسان بالعلم الذي كلهُ حياة ونور

شبراخيت في ٨ دسمبر سنة ٩٠٥ — الدكتور محمد عشماوي الحكيم

دوآء السرطان

قرأنا في جريدة المؤيد الغرآء تحت هذا العنوان ما نصهُ

لا يخفى على احد شدة خطر الاورام السرطانية ومقدار استعصآئها على العلاج فلا تُقطَع من جهة حتى تظهر في جهة أخرى ولا تزال تناوئ مشرط الجراح او تلاعبهُ حتى تذهب بحياة من علقت بهِ . وقد قرأنا في احدى المجلات الفرنسية نبذة نقلتها عن مجلة (ذي لانست) الطبية الانجليزية الشهيرة فرأينا من الواجب نشر خلاصة ما قالتهُ في المؤيد ليطلّع عليهِ العالم العربي كلهُ

نقلت مجلة (ذي لانست) أن رجلاً عمره ثلاث وخمسون سنة أصيب بورم سرطاني في حلقهِ فعرض نفسهُ لثلاثة من كبار جراحي الانجليز يُعَدّ احدهم ركناً من اركان الطب الانجليزي فنصحوهُ بالاسراع الى استئصاله بواسطة أحد الجراحين . ولكن المريض آثر أن يعمل باشارة امرأة ويهمل نصيحة اولئك الدكاترة النطاسيين رغماً عن الحاح اصدقائهِ عليهِ . وكان علاج تلك المرأة كلهُ هو اخذ بضعة ارطال من اوراق البنفسج ونقعها في الماء مدة (٢٤) ساعة ثم غليها مدة ربع ساعة ثم قسمة السائل المتحصل الى قسمين قسم يستعملهُ شرباً والآخر يغمس فيهِ قطعة من القماش مطوية ويضعها على الورم حتى تسخن ثم يغمسها ثانيةً وهكذا . قالت المجلة فلم يمضِ على المريض شهران حتى نقه تماماً فرأى طبيبهُ الدكتور غوردون الذي كان يائساً كل اليأس من نجاح هذا العلاج أن يعرضهُ على جملة جمعيات طبية للتأمل في هذا الاثر المدهش . وبناء عليهِ يكون ورق البنفسج هو العلاج الشافي من السرطان فريد وجدي

اسئلة واجوبتها

الاسكندرية — قرأنا في ضيائكم في المقالة المعنونة بحديقة السوسن لسليم بك عنحوري (ص ٦٠٢) ما نصهُّ « ان الزواج شركة مفاوضة يراد بها بقاء النوع والتعاون في جهاد الحياة .. فكل زواج لم يتوفر فيهِ هذان الشرطان باتمّ مظاهرهما وجب الغاؤهُ خلافاً للقائلين بانهُ سرٌّ علويٌّ لا

تقوى يد حاكم ارضيٍّ على نقضهِ ٠٠ » ولا يخفى ما في هذا القول من المخالفة لشرائع الدين المسيحي لكن نحبّ ان نعلم اهذا القول هو اعتقاد صاحب حديقة السوسن ام يوردهُ على سبيل الرواية عن القائلين بهذه البِدعة

الخوري بطرس يواكيم

ب ٠ م ٠

الجوابِ — اذا تتبعتم السياق الوارد في هذا الموضع من اولهِ (ص ١٠١) يظهر لكم جليًّا ان كل ما ذكر هناك حكاية لما ارتآهُ « الوازعون والمشترعون » المذكورون في صدر هذا المقال كما استدركتموهُ في آخر سؤالكم فالحمد لله ان هذه الحقيقة لم تخفَ على امثال حضرتكم وقاتل الله كل خبيث الدِخلة يترصد اسباب الخصام والشقاق ويدعي انهُ يناضل عن الدين وسلاحهُ الإفك والنفاق (١)

المطرية (دقهلية) — ذكرتم في جواب سؤال في الجزء الثاني ان مثل قولهم زوجة واولاد فلان تركيب صحيح خلافاً لمن ظن انهُ تركيب غير عربي . ولا اذكر اني رأيتهُ في القرآن الكريم ولا في كلام عربيٍّ بليغ يُعتَدّ بهِ فهل يكفي حجةً وشاهداً على صحتهِ ورودهُ في بيتٍ فرد من الشعر

حسين عبد الفتاح الجمل

الجواب — اما عدم ورود مثل هذا التركيب في القرآن الكريم فليس دليلاً على عدم صحتهِ لان القرآن لا يشتمل على جميع الفاظ اللغة وتراكيبها .

---

(١) انظر مجلد السنة الثامنة من المشرق صفحة ١١٥٠

واما انهُ لم يرد في كلام عربيٍ بليغ فان البيت الذي استشهدنا بهِ هناك هو من كلام الفرزدق وقد استشهد بهِ سيبويه . ومثلهُ قول الاعشى ميمون وهو من المخضرمين

الاَّ عُلالةَ او بُدا هةَ سابحٍ نهد الجُزارَه

وقول الآخر ولم يُذكَر قائلهُ ولكنهُ مما يستشهد بهِ النحاة

قبلَ وبعدَ كل قولٍ يُغتنَم حمد الاله البرّ وهاب النِعَم

ومن هذا القبيل قول الآخر

علّقتُ آمالي فعمّت النعَم بمثلِ او أنفعَ من وبل الدِيَم

وهذا القدر كاف

بيت لحم — بينما كنت اطالع في ضيا ٓئكم الاغرّ عثرت على ما اشكل عليَّ فهمهُ فجئت راجياً ان توضحوهُ لي وانا على يقين انكم لا تأبون عليَّ ذلك لما اشتهر من رغبتكم في افادة السائلين كافأ كم الله عني وعنهم خيراً

جاء في الجزء التاسع من مجلد السنة السابعة (ص ٢٥٨) « ولا يقال حظي بالشيء بمعنى ظفر بهِ انما هذا من استعمال العامة » . فقد ورد في كلام كثيرين من الكتاب حظي بالشيء كقول عليّ بن ابي طالب « ان المتقين سكنوا . . . فحظوا من الدنيا بما حظي بهِ المترفون» . وقول الحريري « ونهضا وقد حظيا بدينارين » . وقول صاحب كليلة ودمنة « ومن طلب الجزاء على الخير من الناس كان حقيقاً ان يحظى بالحرمان » . وقول ابي تمام

منظَّمةً بالموت يحظى بحلْيها مقلِّدُها في الناس دون المقلَّدِ

وقول محمد بن بشير

أخلِق بذي الصبر ان يحظى بحاجتهِ ومدمن القرع للابواب ان يلجا

وغيرهم كأَبي الفضل هبة الله ومحمد البرهان القيراطي فبأيّ معنى استعملوا هذا التعبير ارجو الافادة ببيان ذلك ولكم الفضل الاب يوسف كليس

الجواب – لنا في معنى سؤالكم كلامٌ لا يسعهُ هذا المقام ستقفون عليهِ في مقالةٍ مخصوصة في احد الاجزآء التالية ان شآء الله

آثار ادبيّة

جامع الأَدِلّة على موادّ المجلّة — تقدم لنا في بعض اجزآء السنة السادسة كلامٌ على هذا المؤلَّف الجليل الذي عُني بوضعهِ حضرة القانونيّ الفاضل نجيب بك هواويني استاذ اللغة والخطوط العثمانية في الكلية الشرقية بمدينة زحلة . والآن نبشر المشتغلين بدراسة الموادّ الشرعية والقانونية ان هذا الكتاب قد انتهى تمثيلهُ بالطبع فجآء فيما ينيف على ٥٠٠ صفحة . وهو نفس مجلة الاحكام العدلية المشهورة بصورتها المطبوعة سنة ١٣٠٥ وهي اصحّ نُسَخها وآخرها وقد ضبطها بالشكل الكامل وقرن كل مادّةٍ فيها بالدلالة على ما في المجلة نفسها من المواد التي تتكفل بايضاح المقصود منها مع الموادّ التي تتضمن الامثلة والشواهد على تلك المادّة . ولا يخفى ما يترتب على ذلك من زيادة الفائدة وتقريب المسافة على الباحث

فنكرّر ثنآءنا على حضرة المؤلّف الفاضل ونحضّ ارباب هذا الشأن

من الدارسين والعاملين على مقتنى هذا الكتاب وهو يُطلَب من مؤلفهِ ومن المكاتب الكبرى في القطرين السوري والمصري وثمنهُ ستة عشر فرنكاً ونصف

المقتبس – مجلة ادبية علمية اجتماعية ينشئها حضرة الكاتب الفاضل محمد افندي كرد علي ويكتب فيها جماعةٌ من حملة العلم وارباب الاقلام في مصر والشام . وهي تنطوي على عشرة ابواب في اغراضٍ مختلفة ترجع الى الموادّ المذكورة في العنوان فيدخل تحتها المباحث التاريخيَّة واصول التربية والتعليم وتدبير الصحة وتدبير المنزل ويتخلل ذلك بابٌ في الصُحُف المنسيّة ثم باب في المطبوعات والمخطوطات وباب في مقالات المجلات وباب في سير العلم ويُختَم كل جزء بفصل تحت عنوان نفاضة الجراب فيهِ من كل فنٍّ خبر ومن كل وادٍ اثر

وقد أُهدِي الينا الجزء الاول منها فوجدناهُ حافلاً بالفوائد مشتملاً على عدة مقالات ونُبَذ نفيسة في الاغراض المشار اليها تدل على ما امتاز بهِ منشئها الفاضل من البراعة وحسن الذوق

والمجلة تصدر في غرة كل شهرٍ عربي ويتألف منها في السنة مجلد يقع في ٦٠٠ صفحة وقيمة الاشتراك فيها ٥٠ قرشاً في القطر المصري و ١٣ فرنكاً في غيرهِ فنتمنى لها تمام الرواج والاقبال

فكاهات

الكولونيل جيرار (١)

— ١٣ —

ورأى جيرار تبسم سامعيهِ لحديثهِ فقال يلوح لي ايها الاصدقآء انكم تهزأون بي وتظنونني من الذين يتباهون بمديح انفسهم و بئس الظن هو لان الجندي الحقيقي ابعد انسان عن التبجح بنفسهِ والاعجاب باعمالهِ . ولا انكر انني في جميع اخباري قد مدحت نفسي كثيراً ولكنني لم ازد على حكاية الواقع كما حصل حتى اني لولم اذكر كل ذلك لكنت مقصراً في وصف الحقائق . اما حديثي الذي سأقصهُ عليكم في هذه الليلة ففيهِ دليلٌ من نفسهِ على انهُ يستحق الذكر ووقائعهُ نفسها تشهد بشرف و بسالة الرجل الذي قام بها

لا يخفى انهُ بعد المعارك الروسية عسكرت بقية جنودنا على شاطئ نهر ألبا الغربي. وكانت العساكر تجتهد ان تشرب ما استطاعت من الجعة الالمانية لتملأ الفراغ الذي حدث في اجسامها بين العظم والجلد ولتنسى ما قاستهُ من الاهوال والخسائر لان اكثر الجنود كانوا قد فقدوا من اعضآء اجسامهم ما يملأ عربتين او اكثر . اما انا فكنت اود ان انسى تلك السهول المكسوة بالثلوج البيضآء وعليها بقع حمرآء هي دمآء رفاقنا حتى انني كنت اذا نظرت الى قبعتي الحمرآء اتذكر تلك السهول فيرتعش جسمي لانهُ من الخمس مئة الف مقاتل الذين اجتازوا نهر ألبا في خريف سنة ١٨١٢ لم يبقَ في ربيع سنة ١٨١٣ سوى اربعين الفاً وكانت هذه البقية نخبة ابطال الجيش واشدهم وهم رجالٌ من الحديد قوتهم الجياد واسرتهم الثلوج وكل حديث

(١) بقلم نسيب افندي المشعلاني

انفسهم الانتقام من الروس وآمالهم معلقة على انتظار الجيش الذي كان الامبراطور يسعى في جمعهِ من فرنسا ليأتي ويساعدهم على الرجوع الى روسيا . اما الفرسان فكانت حالتهم يرثى لها ولا سيما فرقتي الهوسار التي لما عرضتها في بورنا لم اتمالك ان ذرفت دموع الحزن لدى مشاهدتها وقد اصبحت رجالها وجيادها في اسوأ حال . غير انني تعزيت لما رأيت ان تلك الفرقة لا يزال لها كولونيلها وفي استطاعتهِ ان يصلح شؤونها . وللحال بذلت جهدي في ترتيبها ولكنني لم اكد اعيدها الى نظامها السابق حتى فاجأني الامر بالعودة الى باريس لتدريب الجنود المتطوعة التي عزم الامبراطور على ارسالها لمساعدة الجيش . ولا انكر انهُ سرني جداً ان اعود الى الوطن العزيز فارى والدتي اولاً ثم بعض الفتيات اللواتي كان يسرهنَّ رجوعي فتركت فرقتي وتوجهت الى باريس تاركاً ورآئي الجنود ومستقبلاً امامي تلك الطريق الطويلة في ارض جردآء مقفرة لان الجنود التي مرت فيها ذهاباً واياباً كانت قد تركتها قاعاً صفصفاً ولو لم اصادف بعض الرعاة يسوقون قطعانهم واستعطفهم لاعطآئي قليلاً من لبن ماشيتهم وشيئاً من زادهم لما بلغت منتصف الطريق حيًّا

ولم ازل سائراً حتى بلغت مدينة ألتنبرج فوجدت ان الطريق امامي تفترق الى شعبتين اخترت احداهما فسرت فيها وكنت من حين الى آخر اقف لاتأمل جمال الطبيعة وجودة تلك المناظر الحسنة . ومما زاد سروري انني كنت التقي ببعض افراد الالمان فتظهر عليهم علامات السرور والانعطاف وكرم الضيافة فانهم والحق يقال جنس لطيف في الغاية لاننا مع بقآئنا ست سنوات في بلادهم نتمتع بخيراتها بكل حرية لم تظهر عليهم اقل علامة استيآء او نفور وكانت نسآؤهم تعاملنا معاملة الزوجات والامهات حتى صرنا ندعو المانيا وطننا الثاني . ولما تقدمت في طريقي رأيت ما يخالف اعتقادي في هذا الجنس لانني قابلت جماعات منهم فرأيت منهم انقباضاً عن مؤانستي وعدم اكتراثٍ بي حتى ان النسآء لم ينظرنَ اليَّ بذلك الطرف الفتان الذي الفتهُ منهنَّ . وبلغت بلدة شمولين على بعد نحو عشرة اميال من ألتنبرج فملت الى فندقٍ لابلَّ شاربيَّ بكأس من الراح واريح جوادي فقابلتني

فتاة قضت طلبي بجفآء . وكان عند باب الفندق جماعة يشربون فرفعت الكأس لاشرب نخبهم فحوّلوا ظهورهم اليَّ ورفع احدهم كأسهُ وقال مخاطباً رفاقهُ لنشرب ايها الاخوان بسرّ حرف « ت » فافرغوا جميعهم كؤوسهم ضاحكين مسرورين . فتركتهم وسرت مفكراً فيما رأيت حتى استدعى انتباهي حرف « ت » محفوراً على جذع شجرة على قارعة الطريق فتذكرت انني شاهدت مثلهُ كثيراً في طريقي ولم انتبه الى السبب قبل ان سمعت الفتى يذكرهُ في الفندق . وفي تلك الساعة مرَّ بي فارس عليهِ دلائل الشرف والعظمة فاستوقفتهُ وبعد التحية سألتهُ قائلاً هل يمكنك يا سيدي ان تفيدني معنى حرف « ت » المحفور على هذه الشجرة . فنظر اليَّ شزراً وقال معناهُ انهُ غير حرف « ن » . وقبل ان انطق بكلمةٍ اخرى اعمل في خاصرتي جوادهِ المهماز وتركني حائراً لا ادري ما يعني بكلامهِ حتى حانت مني التفاتة فرأيت حرف « ن » مرسوماً على سرج جوادي ولجامهِ فعلمت ان النون رمزٌ الى نابوليون وان التآء رمزٌ الى اسم يعاكسهُ . وللحال خطر لي ان المانيا التي كنا نظنها نائمة مسرورة باحتلالنا لم تكن الا جباراً يتناوم الى ان تساعدهُ الاقدار على النهوض ثم راجعت في مخيلتي ما لقيتهُ في سفري من انقلاب سحنة اصحابنا وتنكُّرهم فتحققت وجود شيء يليق ان اقررهُ متى بلغت باريس وتولدت فيَّ الرغبة ان اعود الى مقدمة فرقتي واسير بها لتعليم الالمان ما يحاولون ان ينسوهُ من واجبات الضيافة والانقياد لارادة امبراطورنا

و بينما انا اسير الهوينى تارةً واخبُّ طوراً بلغت غابةً كثيفة وقرع اذني صوت مستجير فنظرت بين الادغال فرأيت رجلاً ينظر اليَّ وقد احمرَّ وجههُ وجحظت عيناهُ وارتسمت على ملامحهِ علامات الغيظ والحنق فعرفتهُ لاول وهلةٍ انهُ الفارس الذي كلمتهُ عند خروجي من البلدة واجابني باختصار وسبقني بسرعة . فقال لي بصوت منخفض اقترب يا هذا وترجل عن جوادك وتظاهر باصلاح سرجهِ لا كلمك شيئاً ولا تظهر انك تكلمني لان هنا جواسيس لا نأمن ان يكونوا سبباً في هلا كنا نحن الاثنين فانهم ان عرفوا انني اكلمك قتلوني لا محالة . فقلت ولِمَ ذلك ومن هم

أولئك الجواسيس . قال هم جمعية التاجنبند وهي جمعية سرية غرضها القيام مرةً واحدة في وقت معين لتطردكم من المانيا كما طردكم الروس من روسيا وحرف التآء الذي رأيتهُ رمزٌ الى اسم هذه الجمعية . واني لما قابلتك في البلدة لم استطع ان اطلعك على كل هذا خوف الفضيحة فسبقتك الى هنا حيث يخفيني الغاب عن اعين الرقبآء فاطلعك على هذا السر المخيف . قلت انني شاكرٌ لك ايها العزيز ولكنني اعجب كيف تطلعني على اسرار بلادك وانت الماني . قال انني كنت مقاولاً في الجيش الفرنسوي وكل ما املكهُ قد حصلت عليهِ منكم وقد اظهر لي امبراطوركم كل لطف ومعاملة حسنة فلم استطع خيانتكم . والان فاركب وسر عاجلاً لئلا يعلم بنا احد فيكون الشر على رأسينا جميعاً . فلم أرَ افضل من طاعتهِ فركبت وسرت حائراً وقد هالني ذلك السر وهيئة الرجل الذي كلمني وخوفهُ واحتراسهُ . وكان لا يزال بيني وبين الحدود الفرنسوية اكثر من خمس مئة ميل جعلت اجتازها باحتراس وتأنٍ مسرعاً في السهول مبطئاً في الغابات والادغال التي يمكن ان يكمن فيها الاعدآء وانا اعجب من الالمان الذين لم يكن فيهم الا المؤانسة واللين وهم يخفون تحت ذلك الرماد ناراً ذات ضرام . ووصلت الى منحدرٍ امامهُ هضبة قد كستها الاشجار العالية فسرت فيها فرأيت تحت شجرةٍ منها شيئاً يلمع فتبينتهُ فاذا هو ردآء ضابط عليهِ الشرائط الذهبية وقد وقعت عليها اشعة الشمس فظهر لها ذلك اللمعان ورأيت الشخص الذي عليهِ ذلك الردآء كانهُ ثملٌ من اهتزاز جسمهِ وعدم ثبوت خطواتهِ وهو يسير الى جهتي وقد امسك باحدى يديهِ منديلاً احمر وضمهُ على عنقه تحت اذنهِ . فاستوقفت جوادي هنيهةً وانا انظر اليهِ بازدرآء لانهُ سآءني ان ارى ضابطاً في حالة سكر كهذه في مثل تلك الاحوال ولكنني ما عتمت ان رأيتهُ قد وقف فجأةً وقد رفع ذراعهُ الاخرى الى السمآء علامة الشكر والسرور ثم سقط الى الارض واذ ذاك سقط المنديل عن عنقهِ فرأيت جرحاً كبيراً يتدفق منهُ الدم الاسود . وللحال وثبت اليهِ وقلت لهُ اعذرني يا هـذا فقد ظننتك سكران . فقال بصوت ضعيف لا لست بسكران ولكنني احمد الله لوجود ضابط فرنسوي بالقرب مني قبل

ان افقد قوة النطق . وكنت قد اسندتهُ بذراعي ورفعتهُ قليلاً لاجلسهُ براحة فقلت لهُ من انت ومن فعل بك هذا . قال انا من رجال الحرس الامبراطوري الجديد واسمي المركيز شاتو سنت ارنو وانا احد تسعةٍ من اسرتي سفكت دمآؤهم في خدمة فرنسا وقد تبعني عدد من الالمان ففعلوا بي ما ترى ثم تركوني ظانين انني فقدت الحياة . فزحفت الى ما بين هذه الاشجار وانتظرت مؤملاً ان ارى بعض الجنود الفرنسوية ولما رأيتك لم اعرف أعدوٌّ انت ام صديق ولكنني شعرت باقتراب الموت فعزمت ان اغتنم هذه الفرصة . ثم ظهرت عليهِ علامات الضعف فشجعتهُ بكلامي وقلت لهُ تشدد ايها الصديق فقد رأيت جرحى في حالة اشد خطراً من هذه ولا يزالون احيآء . فقال بصوت ضعيف وقد اخذ يدي فضغط عليها لا لا ايها العزيز انهُ لا امل لي في الحياة لانني شاعر بقرب الاجل ولكن في جيبي اوراقاً يجب ان توصلها سريعاً الى البرنس ساكس فلستين في قلعة هوف فانهُ مع عداوة الاميرة زوجتهِ لنا لا يزال صديقنا الحميم ولكنها لا تنفك تحرضهُ على المجاهرة بعداوتنا وهو اذا فعل تبع مثالهُ عمهُ ملك بروسيا وابن عمهِ ملك باقاريا. فاذا وصلتهُ هذه الاوراق قبل ان يصمم على شيء بقي على محالفتنا ولذلك يجب ان تسلمها اليهِ الليلة و بذلك تستسلم المانيا باجمعها لامبراطورنا ولو لم يُقتل جوادي لكنت ذهبت بنفسي رغماً عن جراحي و . . . . . ثم تدفق الدم من فيهِ فلم يستطع استتمام كلامهِ فتشنَّج بين يديَّ ثلاثاً ثم همدت حركتهُ وسقط على صدري فاقد الحياة

وكان من نتيجة ذلك ان تغيرت خطة سفري لانني عوضاً عن متابعة سيري الى فرنسا اضطررت ان اقوم بتلك المهمة لايصال الاوراق الى البرنس في تلك الليلة فبحثت في ثوب الماركيز فوجدت في جيبهِ الداخلي اوراقاً مربوطة بخيط حريري وقد كتب عليها اسم البرنس ساكس فلستين بخطٍ غير واضح عرفتهُ انهُ خط نابوليون . فانتصبت للحال وتركت جثة الماركيز حيث هي وامتطيت صهوة جوادي واعملت في خاصرتيهِ المهماز فاندفع يعدو بي كالنعام الجافل وما سرت قليلاً حتى دوى في اذني طلقان ناريان علمت انهما من رجال الالمان الذين قتلوا الماركيز فلم

اهتم بهم وكان جوادي لا يبالي بالصخور والوهاد التي تعترض سبيلهُ بل يثب فوقها كانهُ طائر لا جواد . اما انا فمع شهرتي باني اقدر خيال بين كتائب الفرسان الستة فلم اركب في زماني كما ركبت حينئذٍ . وعند غروب الشمس بلغت بلدة لو بنستين وكان جوادي قد فقد احدى نعالهِ فاضطررت الى دخول فندق واستدعاء بيطار ليركب لهُ غيرها. ولما رأيت ان العمل يستغرق وقتاً قليلاً طلبت من صاحب الفندق فاحضر لي شيئاً من القوت التهمتهُ وانا آسف لذلك التأخير . ولما كان لا يزال بيني و بين قلعة هوف بضعة اميال وثقت من نفسي ان اوصل رسالتي في تلك الليلة وان اقوم في الصباح فاتابع سيري الاول الى فرنسا حاملاً جوابات تلك الاوراق الى الامبراطور . ولكن ابت التقادير الا ان تعكس آمالي وابى الغيب الا ان يخفي لي في فندق لو بنستين شيئاً لم اكن اتوقعهُ قط

قلت لكم انني جلست لتناول الطعام فلم ابلغ نصفهُ حتى سمعت في الخارج جلبةً ظننتها من بعض الرجال وقد سكروا فلم يهمني امرهم ولكنني للحال سمعت صوتاً جعل اتيان جيرار يثب عن كرسيهِ و يسرع الى باب الغرفة لانني سمعت صراخ امرأةٍ تستغيث . ولما فتحت الباب وجدت صاحب الفندق وزوجتهُ والخدم و بعض القرو يين قد تألبوا على سيدةٍ لم يرَ جنديٌّ قبلي اجمل منها وعلى وجوههم علامات الغيظ والانتقام فلم يقع نظرها عليَّ حتى وثبت نحوي واخذت بيدي وقد تحولت ملامح وجهها الى سرور واستبشار ثم قالت اراني بقرب شهم فرنسوي فانا اذاً في امان . فقلت لها بتبسمي المعهود نعم يا مولاتي انك لفي امان فمري تريني مستعداً لخدمتكِ واردفت كلامي بتقبيل يدها اللطيفة . فتبسمت الفتاة وقالت انني بولندية واسمي الكنتة بالوتَّا وهؤلاء يضطهدونني لاني اميل الى الفرنسو يين ولا اعلم ماذا كانت عاقبة امري بينهم لو لم ترسلك السماء لاغاثتي . فقبلت يدها ثانيةً تأكيداً لتأمينها ثم نظرت الى الجمع باحدى نظراتي المعهودة فجعلوا يخرجون من الغرفة واحدٌ بعد واحد حتى بقينا وحدنا فقلت لها انكِ الآن يا سيدتي في عهدتي واراكِ ضعيفةً بعد ما حصل فلا اشك في ان كأساً من الخمر تردّ اليكِ قواكِ . ثم ادخلتها

الى غرفتي واجلستها بجانبي لا تناول بقية طعامي وقدمت لها كأساً من الخمر فلم ترفضها . وظهرت امامي كزهرة نضرة فلم اعد استطيع تحويل نظري عنها وقرأت في وجهها اعجابها بي ايضاً لان النسآء اذا رأين جمال الفتى مقروناً بشجاعتهِ لا يتمالكن ان يحببنهُ . اما حديثها فلم يكن اعذب منهُ وهي تقص عليَّ سيرتها فاعلمتني انها مسافرة الى بولندا مع اخيها وانهُ مرض في الطريق فتركتهُ في مستشفى وانها قاست كثيراً من المشقات في سفرها لمجرد ميلها الى الفرنسويين . ثم انتقلت في حديثها الى سؤالي عن الجيش وعن نفسي وعن سبب مروري من تلك الناحية ولما ذكرت لها اسمي اخبرتني انها سمعت بي وطلبت مني ان اقص عليها بعض حوادثي التي يتحدث بها القوم وانها تود ان تسمعها من فمي مع انها سمعتها قبلاً تُروَى في الفنادق والمنازل . وهكذا اسكرتني بلطفها حتى غرقت معها في الحديث ومرت علينا اربع ساعات قبل ان اتذكر مهمتي وما يطلب مني القيام بهِ . واذ ذاك وثبت كالمأخوذ وقلت اعذريني يا مولاتي لانهُ يجب عليَّ ان اسير في هذه الدقيقة الى قلعة هوف. فنظرت اليَّ بوجهٍ حزين وقالت وماذا يحل بي اذا ذهبت . قلت انني اسير بامر الامبراطور ولا يمكنني مخالفتهُ . قالت تسير وتتركني الى هؤلآء القتلة فلماذا قلت انك تحميني ثم اجهشت بالبكآء . وكانت تلك الدقيقة اعظم تجربة لي ولكنني تغلبت عليها ثم رأيتها كمن يغمى عليها وقد طلبت جرعة مآء فاسندتها الى الكرسي وذهبت مسرعاً لآتيها بالمآء فمضت بضع دقائق قبل ان اهتدي اليهِ ولما عدت الى الغرفة وجدتها خالية ولا اثر للفتاة فيهـا فكدت افقد عقلي . ثم ناديت صاحب الفندق فسألتهُ عنها فقال انهُ لم يرَها . فخرجت الى الشارع وسألت الخدم والمارّة فلم احصل على فائدة . ثم انتبهت الى ان صدر ثوبي مفتوح فوضعت يدي ولسوء الحظ وجدت ان رسالة الامبراطور التي كنت قد خبأتها هناك مفقودة ايضاً فعلمت للحال ان تلك الماكرة تظاهرت بجميع ما رويتهُ حتى تغامت واخذت الرسالة من صدري بدون ان اشعر بها . فحرت في امري وقلت ما عسى ان يقول الامبراطور متى علم بانني اضعت رسالتهُ وهل يصدق الجيش كلهُ ان اتيان جيرار تمكر بهِ فتاة .

واثرت فيَّ هذه الافكار حتى كدت اعدم رشدي ثم راجعت كل ما جرى فتأكد لي ان ما كان من الضوضاء وظهور الفتاة لم يكن الا تمثيل رواية متفق عليها لسلب الرسالة مني وللحال امتشقت حسامي وقصدت صاحب الفندق ليطلعني على سر الفتاة ولكن اللعين كان قد عرف قصدي فدخل غرفتهُ واقفل الباب . ولما اقتربت منهُ ناداني قائلاً انجُ بحياتك يا هذا فان جوادك ينتظرك امام الباب واذا اصررت على الدخول ففي يدي غدارة افرغ رصاصتها في صدرك . ولم اكن لاخاف تهديدهُ ولكنني علمت ان لا فائدة منهُ وللحال اعملت الفكرة فقلت اني وان اكن قد فقدت الرسالة فلا اسهل من ابلاغها شفاهاً للبرنس وكنت قد عرفت فحواها من قرائن الاحوال فركبت جوادي وسرت قاصداً هوف

وعند منتصف الليل بلغت المدينة وكانت لا تزال انوارها ساطعة ورأيت من حركة القوم انهم في شغل شاغل يموجون ويتحادثون كانهم ينوون القيام بامرٍ ذي بال . وكنت امر على جماعات ينظرون اليَّ نظر الانتقام والكراهة حتى ان بعضهم رماني بحجرٍ مرَّ بقرب رأسي ولو اصابهُ لكان ارداني . فلم اهتمَّ بشيء من ذلك ولم ازل اجد السير حتى بلغت قلعة البرنس فترجلت امام بابها وسلمت جوادي للخادم ثم قلت للخادم بلهجة السفير الآمر انني اروم مقابلة البرنس في الحال لامرٍ لا يمكن تأخيرهُ . وسمعت داخل القلعة جلبةً شديدة سكنت عند ابلاغ البواب رسالتي فعلمت ان في القلعة اجتماعاً يقرر فيهِ المجتمعون الحرب او الصلح ورجوت ان اكون قد وصلت قبل ان يكون البرنس قد انحرف عن مصافاة فرنسا . و بعد قليل عاد البواب فقال ان البرنس لا تمكنهُ مقابلتي ولكن البرنسة نفسها يمكنها ان تتلقى مني الرسالة . اما انا فلم يسرَّني هذا الجواب لان المركيز اعلمني قبل موتهِ ان البرنسة المانية قلباً وقالباً وانها هي التي تحرض زوجها على معاداتنا فقلت لهُ ان رسالتي تختص بالبرنس دون غيرهِ فلا بد لي من مواجهتهِ بنفسهِ . وقبل ان يجيبني الخادم سمعت صوت سيدة تقول كلا ثم دخلت السيدة يخفرها رجل حتى وقفت امامي وقالت ما هي الرسالة التي تود ايصالها الى البرنس او الى البرنسة ساكس فلستين . فلما سمعت

الصوت ارتعش جسمي ولما رأيت وجهها صعد الدم الى رأسي لانني عرفتها انها هي نفس تلك الماكرة التي سرقت مني الرسالة . ولما لم اجبها رفست الارض برجلها وقالت ان الوقت ثمين يا هذا فما هي رسالتك. قلت ماذا اقول وقد علمتِني ان لا اثق بامرأة بعد فقد قطعتِ حبل آمالي في المستقبل وافقدتِني شرفي . فنظرت الى الرجل الذي معها باستغراب وقالت هل هذا الرجل في حلم ام هو معتوه يتكلم بما لا نفهمهُ . قلت انكِ ماهرة في التمثيل يا سيدتي وقد اريتِني مهارتكِ في اول هذا الليل ولكنكِ لن تهزئي بي مرتين في ليلة واحدة . فنظرت الى الرجل وقالت لهُ ان هذا السفير وقح على ما يظهر فنادِ الحرس ليخرجوهُ خارج القلعة . ولكنها لم تعلم ما هو جيرار وانهُ لا يقع مرتين في احبولة امرأة فقبل ان تتم امرها وثبت وثبة واحدة اوصلتني الى خارج الغرفة واسرعت الى ردهة الاجتماع مستدلاً عليها بصوت الجلبة حتى بلغت بابها فرأيت في صدر الردهة عرشاً مرتفعاً عليهِ فتىً جميل الطلعة وحولهُ كراسي قد جلس عليها مقدَّمو المجتمعين والاعضآء الباقون متفرقون في جوانب الردهة . فلم اقف حتى صرت في وسطهم وصحت قائلاً انني رسول الامبرطور انقل رسالة للبرنس ساكس فلستين . فرفع البرنس رأسهُ ونظر اليَّ ثم قال ما اسمك ايها الرسول . قلت الكولونيل اتيان جيرار من فرقة الهوسار الثالثة . فشعرت بحركة في كل الردهة ورأيت الجميع ينظرون اليَّ فلم ارَ بين جميعهم نظرة صديق ولكنني لم اهتم بذلك فانتصبت كنخلة بين الاعشاب . فقال البرنس ان كتاب الامبراطور الخصوصي افادني ان رسالتهُ قد وُجهت اليَّ مع المركيز شاتو سنت ارنو لا معك . قلت نعم يا مولاي ولكن المركيز قتل في قدومهِ الى بلاط سموكم . قال واين هي اوراقك . قلت ليس معي اوراق . وللحال ارتفع صراخ الحاضرين وجلبتهم فمن قائل ان هذا الجاسوس ومن قائلٍ اقتلوهُ وقائلٍ اشنقوهُ فرفع البرنس يدهُ فسكت الجميع و بقيت انا على ما كنت عليهِ من الهدو والسكينة . ثم قال فما هي رسالتك اذاً . قلت انها تختص بسماع سموكم فقط . فوضع يدهُ على جبهتهِ كرجل ضعيف ليس قيادهُ بيدهِ وهو لا يدري ماذا يجب ان يفعل وكانت البرنسة قد دخلت

الردهة من بابٍ آخر وصارت بالقرب منهُ فاسرَّت اليهِ كلاماً فقال انني مع رجالي في مشورة ولا اخفي عنهم سرًّا فمهما تكن رسالة الامبراطور فانها تهمهم كما تهمني فضج الحاضرون بالاستحسان وشعرت ان موقفي حرج فعزمت ان اتكلم مهما كانت النتيجة . فقلت انك طالما اظهرت الميل الى مولاي الامبراطور يا سيدي البرنس وقد ازف وقت امتحان صداقتك لهُ فاذا ثبتَّ فانهُ يكافئك لانهُ سهلٌ عليهِ ان يجعل البرنس ملكاً والامارة مملكة وقد وجَّه مولاي الامبراطور نظرهُ اليك فمع انك لا تستطيع ان تساعدهُ بالقوة فانك تجني على نفسك اذا قاومتهُ لانهُ الآن يجتاز نهر الرين بمئة الف مقاتل وكل معقل في بلادكم قد اصبح تحت حكمهِ وسيصل الى هنا بعد اسبوع. فاذا خنتموهُ فالويل لكم واذا كنتم تظنون انهُ قد فقد شيئاً من قوتهِ ومجدهِ فانتم مخطئون لان نجم سعدهِ لا يزال يتألق في كبد سماء حياتهِ ولا يغيب حتى تنحلَّ العناصر

ولو سمعتموني ايها الاصحاب ورأيتموني في ذلك الموقف لكنتم بدون شك تعجبون بجيرار بل لو كان الامبراطور نفسهُ يراقبني من وراء ستار لما تمالك ان يصيح احسنت يا جيرار احسنت يا جيرار

اما البرنس فاطرق بعينيهِ كانهُ تتنازعهُ عوامل لا يقوى على ادراكها ثم قال بصوت ضعيف قد سمعنا فرنسوياً يتكلم عن فرنسا فهل بين الحاضرين الماني يتكلم بالنيابة عن المانيا . فتبادل السامعون النظرات وتهامس اكثرهم فعلمت ان كلماتي كانت قد اثرت فيهم.ولم يشأ احدهم ان يبدأ باعلان العداوة لامبراطورنا الا البرنسة فانها التفتت الى ما حولها ثم ثبتت نظرها في الحاضرين وقالت هل تنتظرون امرأة لتجاوب هذا الفرنسوي على كلامهِ أَوَلا يوجد بينكم ايها الشجعان من يبرهن انهُ يستطيع تحريك لسانهِ كما يحرك سيفهُ . ولم تكد تتمّ كلامها حتى رأيت فتى ضئيل الجسم اصفر اللون نحيف الوجه قد نهض فوقف على كرسيهِ فساد السكون وسمعت بعضهم يقول قد نهض كورنر الشاعر فاسمعوهُ . فبدأ الفتى بالانشاد بصوتٍ رخيم ولكنهُ حماسي فعدد اوصاف جرمانيا ام الممالك ذات السهول الخصيبة والابطال

الشجعان ثم انتقل الى وصف حالتها وقد أُخذت غدراً حين لم تكن مستعدة لمقاومة نابوليون. ثم قال اما الآن فانها تتمطى في وثاقها وتحل عنها تلك القيود وتنادي بنيها ليصونوا شرفها و يعيدوا عزها فهل يسمعون ندآءها وهل يلبون الطلب

وكان نشيد الرجل كانهُ مجرى كهربآئي سرى في عروق السامعين فابرقت اسرتهم وصاحوا صياح الفرح ولم يبقَ منهم من لم يثب عن كرسيهِ وقد استل حسامهُ حتى ان البرنس نفسهُ اشرق وجههُ فنظر اليَّ وقال قد سمعت يا كولونيل جيرار الجواب فارجو منك ان تنقلهُ الى امبراطورك . ثم نظر الى رجالهِ وقال ايها الاعزآء قد صممنا على هذا الرأي فاما ان نفوز معاً او نهلك. ولما قال ذلك انحنى صارفاً الجلسة فجرى الجميع يتسابقون للخروج لكي يذيعوا تلك البشرى بين مواطنيهم

اما انا فعلمت انهُ لم يبقَ لي حاجة بالمكث ووددت الخروج لاعود بالجواب وقد كرهت هوف والنظر اليها فحنيت رأسي وسرت الى الجهة التي ربطوا فيها جوادي. وكان المكان مظلماً فمشيت بتمهل واذا بي قد شعرت بايدٍ غلت يديَّ الى عنقي وشعرت بحديد غدارة تحت اذني وسمعت صوتاً يقول اياك ان تبدي اقل حركة ايها الكلب الفرنسوي . ثم اخذ احدهم لجام جوادي فربطهُ حول عنقي بعنف وقادوني صاغراً وسمعت رئيسهم يقول لنشنقهُ حالاً . فقال آخر ولكنهُ سفير يا مولاي. قال سفير بدون اوراق فهو جاسوس . قال ولكنك اذا قتلتهُ لم نأمن ان يؤثر عملك على افكار البرنس لانك تعلم انهُ سريع الانقلاب . ولما قال هذا استلّ سيفهُ فقطع رباط عنقي ونادى رفاقهُ قائلاً ايها الاخوان انهُ من العار علينا ان نتحامل على رجلٍ وحيد بيننا لا يستطيع المدافعة . واذ ذاك سمعنا صوت آخر يقول مهلاً فقد جآءت البرنسة فنظرت فرأيتها بجمالها الرائع ومع كراهتي الشديدة لها وحنقي عليها لم اتمالك ان اعجب بطلعتها الفتانة التي لا تمحى من ذاكرة جيرار . فاقتربت اليَّ وجعلت تحل قيودي بيدها وهي تقول يا للعار انكم تجاهدون في سبيل العدالة وتبدأون بمثل هذه الفعلة الشنعآء . فاعلموا ان هذا الرجل لي ومن مس شعرةً من رأسهِ يحاسبني عليها بحياتهِ . فلما سمعوا كلامها ابتعدوا عنا فنظرت اليَّ

وقالت اتبعني يا كولونيل فلي كلام اقوله لك . فتبعتها كمن لا يدري ماذا يفعل حتى بلغنا الغرفة التي قابلتها فيها اولاً فاقفلت بابها وقالت انك ترى الآن امامك البرنسة ساكس فلستين كما رأيت في اول الليل الكنتة بالوتا البولندية . قلت لا تهمني تلك لانني انما ساعدت امرأة ضعيفة كنت اظنها في ضيق فسرقت اوراقي وهدمت شرفي كانها تكافئني بذلك . قالت اعلم يا كولونيل انني كنت واياك جوادَي رهان وقد اعانتني التقادير فسبقت وانت تعلم انهُ عند ادراك الغاية لا يبالى بالواسطة مهما كانت سرقةً او كذباً . اما الآن وقد انتهى الشوط فلا ينبغي ان يوجد بيننا اقل حقد . واعلم انني لو وقعت في ضيق حقيقي لما اخترت سواك منقذاً وحامياً ولم اكن اظن قط انني اعتقد مثل ذلك في رجل فرنسوي قبلك . اما سرقتي الاوراق فقد كانت مما لا بد منهُ لانني اعرف قوة كلام كاتبها وضعف ارادة زوجي فلو وصلت اليهِ لما صمم على رايهِ الاخير قط . قلت ولِمَ عرَّضتِ نفسكِ لفعل ذلك وقد كان في امكانكِ ان تأمري بعض رجالكِ بمقابلتي وقتلي كما قتلوا المركيز . قالت كانت رجالي منبثةً في جميع النواحي لهذه الغاية وكنت انتظرهم في مدينة لوبنستين فلما بلغتها انت علمت انك نجوت منهم ففعلت ما لم يبقَ لي سواهُ لافعلهُ . قلت انني اعجب بمهارتكِ يا مولاتي واقرّ بانني غُلبت فلم يبقَ عليَّ الا ان استأذن وانصرف . قالت وخذ اوراقك فانهُ لم يبقَ لي بها حاجة فان البرنس قد سار برجالهِ الى حيث لا تدركهُ بعد فارجع الى امبراطورك وقل لهُ انهُ لم يشأ قبول الرسالة فلا يشكوك بفقدها احد . فاستودعك الله يا حضرة الكولونيل وانصح لك اذا بلغت فرنسا ان تبقى فيها لانهُ بعد سنة لا يبقى فرنسويٌّ في هذه الجهة من نهر الرين

وهكذا انقضت مهمتي لدى البرنسة ساكس فلستين فخرجت وانا افكر فيما جرى وكنت كل هنيهةٍ اتصور امامي ذلك الوجه اللطيف وقد عجبت من اعتصاب الالمان وقلت لا ريب ان هذه البلاد لا تغلب . وكان قد لاح الفجر فرأيت النجم الذي كان يدعوهُ نابوليون نجمهُ الخاص قد بدأ بالذبول واخذ يفقد من بهآئهِ ولمعانهِ